

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[406] والإستجابة له وممارسة أعمال البرّ والجهد مع النفس (الجهد الأكبر) وجهد الأعداء والظلمة (الجهد الأصغر). نقل العلامة الطبرسي (رحمه الله) في "مجمع البيان" عن معظم المفسّرين قولهم: إنّ القصد من "حق الجهد" الإخلاص في النية والقيام بالأعمال خالصة. ولا شكّ في أنّ حقّ الجهد له معنىّ واسع يشمل كيف والنوع والمكان والزمان وسواها، ولكن مرحلة "الإخلاص في النية" هي أصعب مرحلة في جهد النفس، لهذا أكّدتها الآية، لأنّ عباد الله المخلصين فقط هم الذين لا تنفذ إلى قلوبهم وأعمالهم الوسوس الشيطانية، رغم قوّة نفاذها وخفائها. والقرآن المجيد يبدأ تعليماته الخمسة من الخاصّ إلى العامّ، فبدأ بالركوع فالسجود، وانتهى بالعبادة بمعناها العامّ الذي يشمل أعمال الخير والطاعات والعبادات وغيرها. وفي آخر مرحلة تحدّث عن الجهد والمساعي الفرديّة والجماعيّة باطنياً وظاهراً، في القول والعمل، وفي الأخلاق والنية. والإستجابة لهذه التعليمات الربّانية مدعاة للفلاح. ولكن قد يثار سؤال هو: كيف يتحمّل الجسم النحيل هذه الأعمال من المسؤوليات والتعليمات الشاملة الوسعة؟ ولهذا تجيب بقيّة الآية الشريفة ضمناً عن هذه الإستفهامات، وإنّ هذه التعليمات دليل الألفاف الإلهيّة التي منّها سبحانه وتعالى على المؤمنين لتدلّ على منزلتهم العظيمة عنده سبحانه. فتقول الآية أوّلاً: (هو إجتباكم). أي حمّلكم هذه المسؤوليات بإختياركم من بين خلقه. والعبارة الأخرى قوله جلّ وعلا: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي إذا دقّقتكم جيداً لم تجدوا صعوبة في التكاليف الربّانية لإنسجامها مع فطرتكم التي فطركم الله عليها، وهي الطريق إلى تكاملكم، وهي الذّ من الشهد، لأنّ كلّ واحدة منها له غاية ومنافع تعود عليكم.